أعلام الكويت - ٤

شملان بن علي آل سيف

١٢٨١ - ١٣٦٤ هـ

«درجت « البعثة » في أعدادها الأخيرة إلى تعريف الرأي العام برجالات الكويت ، فقرأنا ترجمة لبانى مجدها وأخرى لمؤرخها وثالثة لمربٍ من مربيها ، ونقرأ في هذه الترجمة سيرة شخصية اجتماعية فذة . . .»

عميد آل سيف . ومن رجال الكويت البارزين الذين لمعت شخصياتهم في المجتمع الكويتي ، وكانت لهم مكانة لاتنكر. نشأ وشب في أسرة غنية معروفة ، يزاول أفرادها تجارة اللؤلؤ ، لهم سفن تمخر المغاصات لاستخراج هذا الحجر الكريم ، وكان والد المترجم عمله أيضاً كعمل كل أفراد هذه الأسرة ، يعاونه في هذه المهنة الكريمة أبناؤه الذين كانو ربابنة من ربابنة سفنه الكثيرة ، والمترجم أحدهم .

وفي سنة ١٣٠٤ هـ انتقل والده إلى رحمة الله بعد أن ترك ثروة تعد كبيرة في ذلك الزمن ، فنهض المترجم لإدارة عمل الأسرة بهمة ونشاط يصاحبهما بعد نظر وسعة مدارك مما جعل الثروة تزداد سنة بعد أخرى منذ أن توفي والده ، فترك وأخوه حسين قيادة سفينتيهما الغواصتين لربانين ينوبان عنهما بعد أن توسعت دائرة العمل ، واستقل كل منهما في سفينه خاصة لشراء ماتخرجه سفنهم من اللؤلؤ وما يبيعه عليهم الغواصون أيام موسم الغوص وبعد أن ينتهي الموسم ويحل الشتاء يذهب الفقيد المترجم إلى بومباى (الهند) لبيع ماجمعه في الموسم من اللآلىء ، وقد فعل ذلك بعد أن أدرك أن البيع على التجار في الخليج فيه غبن له . ويكر راجعاً إلى بلده في فصل الربيع ليقضيه في الصيد والكرم ، والاستجمام في مناخ الصحراء .

ويحل الصيف فيعود إلى البلد لترحيل سفنه إلى المغاصات والسفر بعدها ، فكان من نتيجة ذلك أن جمع ثروة طائلة ، وكان يعد من أكبر أغنياء الخليج ، ويقرن اسمه بعد الثرى المعروف هلال المطيري مباشرة . .

وبعد مدة جاءت الضربة القاضية على هذه المهنة الكريمة . فكسدت أسعار اللآلىء وانحطت أثمانها وانصرف الغربيون عن اقتنائها ، فذابت ثروة هذا الثرى في ضمن من ذابت ثرواتهم في هذه الكارثة التي أصابت هذه المهنة ، ولكنه لم ينزل من علياء سمائه ولم يكترث لهذه الكارثة التي أودت بماله ، فظل عزيزاً مكرماً محترما من أمراء البلاد ومن الشعب إلى أن وافته المنون في ليلة ١٤ من ربيع الأول سنة ١٣٦٤ هـ ، وكان لموته رنة أسى في البلاد تأثراً لما تحمل النفوس له من حب وإكبار . . .

هذه نبذه من حياته العملية الخاصة ، أما ما عمله الراحل خدمة للمجتمع وللإنسانية فقد ساهم بتشييد المدرسة المباركية ، وجاء بمنقبة لم يأت بها غيره في الكويت فقد أقام من ماله الخاص مدرسة لتعليم الأيتام ، واستمرت مدة تعلم بها الكثيرون منهم في وقت لم تكن في البلاد معارف . وأوقف نصف الماء الذي تجلبه سفينته (رنقون) من البصرة للفقراء مجاناً كل سفرة ، وأخرج زكاة ماله كاملة طول مدة ثرائه وأشاد معابد وعمر أخرى ، وكان ديوانه مقصداً للضيوف والغرباء والمنقطعين الذين ينصرفون عنه بعد أن يعطيهم مايسد عنهم العوز ، وساهم في الكثير من ماله لصد غزوات قام بها البدو وذهب أحد أبنائه ضحية في حادثة الجهرة المشهورة .

ودأب في سنيه الأخيرة يجمع التبرعات للفقراء والأرامل ، وانصرف إلى مواساة المعدمين ومجاملتهم وعيادتهم متى مرضوا فتراه يطرق الباب على صياد فقير فقده أمس من مجلسه ... وكانت هذه المحاسن مسك ختام حياته النافعة .

شرقاوى